**الرواد والتجربة الشعرية الجديدة-2**

**- بدر شاكر السياب-**

**مفتتح**

يعد بدر شاكر السياب طاقة إبداعية خلاقة، تمكنت من اقتحام آفاق المعاصرة، بشكل وأسلوب ورؤيا جديدة، ولئن سلم النقاد بريادة الملائكة زمنيًا للتجربة الشعرية الجديدة، فكذلك نسلم نحن بريادة السياب فنيًا للتجربة الشعرية الجديدة، فالذي قدمه السياب للشعر العربي، في فترة وجيزة، عجز عنه شعراء كثر في فترة طويلة، وقد تميزت تجربته الشعرية بارتباطها الوثيق بالعراق أو الوطن العربي الجريحين، فكانت مشبعة بالألم والمرارة والفجيعة، وهي تعبر عن الثورة والغربة والحنين إلى الماضي والمرض**([[1]](#footnote-1))**.

**أ- سيرته**

بدر بن شاكر بن عبد الرزاق بن مرزوق السياب (1926- 1964)، شاعر عراقي من مواليد قرية جيكور وهي إحدى قرى أبي الخصيب في محافظة البصرة من العراق، تخرج في الابتدائية عام (1938)، وأكمل الإعدادية اختصاص الفرع العلمي في البصرة عام (1942)، ثم تخرج من قسم اللغة الإنجليزية في دار المعلمين العالية ببغداد (1948)، واشتغل بعد تخرجه مدرسًا في مدرسة الرمادي، لكنه فصل منها عام (1949) بسبب انتمائه إلى الحزب الشيوعي العراقي وأدخل السجن، فعمل في شركة التمور العراقية**([[2]](#footnote-2))**، وفي شركة نفط البصرة، ثم عمل في مديرية الأموال المجمدة (1953-1945)، أشهر خروجه عن الحزب الشيوعي عام (1959)، وتبنى التيار القومي، ثم أيده بحزب البعث السوري صحفيًّا ومترجمًا**([[3]](#footnote-3))**.

**ب- من مؤلفاته**

**- الشعر**

أزهار ذابلة (1947)، أساطير (1950)، حفار القبور (1952)، المومس العمياء (1954)، الأسلحة والأطفال (1954)، أنشودة المطر (1960)، المعبد الغريق (1962)، منزل الأقنان (1963)، أزهار وأساطير (د.ت)، شناشيل ابنة الجلبي(1964)، إقبال (1965)، قيثارة الريح (1971)، أعاصير (1972)، الهدايا (1974)، البواكير (1974)، فجر السلام (1974).

**- الترجمات الشعرية**

عيون إلزا أو الحب والحرب (شعر أراغون)، قصائد عن العصر الذري (إيديث ستويل)، قصائد مختارة من الشعر العالمي الحديث، قصائد من ناظم حكمت.

**- الأعمال النثرية**

كتاب السياب النثري (1986)، وهو مجموع عمل على جمعه حسن العزفي، يتألف من محاضرة (الالتزام واللاالتزام في الأدب العربي الحديث)، ورسائل (جمعها ماجد السامرائي)، ومقالات نشرت في الصحف والمجلات العراقية واللبنانية **([[4]](#footnote-4))**.

كتاب كنتُ شيوعيًا، وهو مجموع من إعداد وليد خالد أحمد حسن، يضم اعترافات السياب في جريدة الحرية البغدادية، حيث جاءت اعترافاته في (29) حلقة حملت عنوانا واحدا هو (كنتُ شيوعيا)، ثم تلتها (11) حلقة تحمل كل واحدة عنوانا خاصا بها**([[5]](#footnote-5))**.

### - الترجمات النثرية

### ثلاثة قرون من الأدب :لمجموعة من المؤلفين (1966)، الشاعر والمخترع والكولونيل: مسرحية من فصل واحد لبيتر أوستينوف (1953).

**جـ- النص موضوع الدراسة**

بين يدينا نص عنوانه (حفار القبور)، كتب في مرحلته الرومانسية التي تستند إلى الرمز**([[6]](#footnote-6))**، توسيعا لموضوعها، وتعميقا لموقفها، وهو نص يحكي تمزق الإنسان المعاصر بين حياة القبور حيث يعمل حفارًا، وبين حياة الانحراف حيث يفسد ما كسبه على الخمر والدعارة، والجدير بالذكر أنه لا يرضى عن الأول ولا عن الثاني، مبالغة في توسيع الجو النفسي الحاد للحفار، وتمزيقا لذاته، كما أنه يتميز بنفس ملحمي فذّ، يجمع بين التدفق الشعوري والتداعي الحرّ للأفكار**([[7]](#footnote-7))**، فضلاً عن بنائه النوعي الموزع بحكمة بين القصة والمسرحية، فيظهر حفار القبور شخصية أسطورية أكثر منها واقعية، لما اكتنفها من مظاهر الرمز والإيحاء الكثيفين:

كفّان جامدتانِ أبردُ منْ جباهِ الخاملين

وكأنَّ حولهُما هواءٌ كانَ في بعض اللُّحود

في مقلةٍ جوفاءَ خاويةٍ يُهوِّمُ في ركود

كفّانِ قاسيتانِ جائعتانِ كالذّئْبِ السّجين

وفمٌ كشقٍّ في جدارْ**([[8]](#footnote-8))**

يتبدّى حفار القبور قناعًا مركبًا، فهو حاصد للأرواح، تظهره الأسطورة ملكا أحب الناس وحياتهم، فطلب النزول إليهم، ومشاركتهم دنياهم، ولما نزل إلى الأرض غادرته ملائكيته، بانغماسه في الشهوات والآثام، فاستحق لعنة السماء الأبدية، لكنه فاوضها بتقديم أرواح الآثمين من أجل خلاصه:

وهمُ المجاعةُ، والحرائقُ، والمذابحُ، والنّواحُ،

وهمُ الذين سيتركونَ أبي وعمّتَهُ الضّريرةْ

بينَ الخرائبِ ينبُشانِ ركامهنَّ عن العظامْ،

أوْ يفحصانِ عن الجذورِ، ويلهثانِ منَ الأوام

والصّخرِ كالمُقَلِ الضّريرةْ**([[9]](#footnote-9))**

فكما أن أسطورة حاصد الأرواح تتعين شخصية مفارقة؛ إذ تداري على خيبتها من خلال التضحية بغيرها، وتحرص على مكانتها من طريق الاستبداد بغيرها، كذلك يظهر

ن أن أن أحفار القبور رمزًا للذات العربية المتكسرة، التي تعجز عن إثبات قدمها على سلم الحضارة، فتعوض خيبتها بالتردي في الشهوات البهيمية، ورمزًا للسلطة السياسية التي تستبد بشعوبها حرصا على مكانتها السياسية:

وتظلُّ أنوارُ المدينةِ وَهْيَ تلمعُ منْ بعيدِ،

ويظلُّ حفّارُ القبورْ

ينأى عنِ القبْرِ الجديدِ

متعثِّرَ الخطواتِ يحلمُ باللّقاءِ، وبالخمورْ!**([[10]](#footnote-10))**

أما نصه الشعري (أنشودة المطر)، فقد كتب في المرحلة الواقعية الرمزية، حينما تحول تعبير السياب إلى الأسطوري والرمزي**([[11]](#footnote-11))**، وهو نص يحكي هموم الإنسان في ما يتعين به وجوده زمانا ومكانا**([[12]](#footnote-12))**، ابتدأه بعلاقة قدسية تجمع بين الطفل وأمه، بين قريته (جيكور) أو عراقه المغترب عنه، أو بين الثلاثة معا، من أجل إحكام صلة الحاضر بالماضي، وهي صلة لا تعني الهروب من واقعه المأزوم، إنما تعني وصل الشاعر بأرضه وتاريخه ومصيره، بحيث تتولد عن هذا المجموع وحدة عامة، تستشرف المستقبل في ثقة الإنسان المطمئن إلى المصير الإنساني**([[13]](#footnote-13))**، بطريقة تشبه أهازيج الطفولة السعيدة، وهي تستقبل القطرات الأولى المطر بنشوة وحبور:

فتستفيقُ ملء روحي، رعشةُ البكاء

ونشوةٌ وحشيّةٌ تُعانقُ السّماء

كنشوةِ الطّفل إذا خافَ منَ القمر!

كأنّ أقواسَ السّحاب تشربُ الغيوم

وقطرةً فقطرةً تذوبُ في المطرْ

وكَرْكَرَ الأطفالُ في عرائشِ الكروم،

ودغدغتْ صمتَ العصافيرِ على الشّجر

أنشودةُ المطر

مطر

مطر

مطر**([[14]](#footnote-14))**

يفترض بالمطر تغيير الأحوال من سيء إلى حسن، فيتولد عنه الخصب والفرح والحياة، لكنه في حال العراق لم يتولد غير الجوع والحزن والموت، كما لم يتولد في السياب إلا مشاعر الغربة والحنين والضياع، تجاه بلده: الأم، العراق، وجيكور، والطبيعة، وهو ما يجعلهما واحدًا، فوجدان السياب المأزوم ما هو إلا انعكاس لتاريخ الجوع الطويل في العراق، وتاريخ الجوع الطويل في العراق ما هو إلا امتداد لصور الماضي في حاضر السياب الفظيع، فيظل المطر عنوانا للموت في الحياة**([[15]](#footnote-15))**، وأنشودته تكرار للموت في الحياة، واستمرار لمعانيه البشعة، في حياة يكتنفها الجوع، الغربة، والاستلاب:

مطر

مطر

مطر

وفي العراقِ جوعْ

وينثرُ الغلالَ فيهِ موسمُ الحصاد

لتشبعَ الغربانُ والجرادُ

وتطحنَ الشّوانُ والحجر

رحًى تدورُ في الحقول حولها بشرْ

مطر

مطر

مطر**([[16]](#footnote-16))**

سيغدو الموت في هذه المرحلة أسطورة، يمثلها الفداء الحقيقي أو الرموز تموز والمسيح، والموت ليس تصورا شعريا خالصا، إنما هو معبأ بمضمون أيديولجي يعكس تصور السياب من الخلاص، فهو يراه في الثورة والنضال والتغيير**([[17]](#footnote-17))** تحقيقًا لغد جديد، وعراق جديد، يسبر تاريخه الدموي الطويل، وهو تاريخ قائم على عرق ودماء العبيد خدمة لمصالح المستبدين والجشعين، من أجل بلوغ مستقبل تعمّ فيه خيرات العراق على الجميع، كما تسود فيه الحرية والعدالة والمساواة على الجميع:

مطر...

مطر

مطر

في كلِّ قطرةٍ منَ المطرْ

حمراءُ أو صفراءُ منْ أجنةِ الزَّهَرْ

وكلِّ دمعةٍ منَ الجياعِ والعراةِ

وكلِّ قطرةٍ تُراقٌ منْ دمِ العبيدْ

فهي ابتسامٌ في انتظارِ مبسمٍ جديد

أو حُلمةٌ تورّدتْ على فمِ الوليدْ

في عالمِ الغدِ الفتيّ، واهبِ الحياةْ!

مطر

مطر

مطر

سيُعشِبُ العراقُ بالمطر**([[18]](#footnote-18))**

1. )- عبد الجبار داود البصري، ***بدر شاكر السياب: رائد الشعر الحر***، وزارة الثقافة والإرشاد، مديرية الثقافة العامة، دار الجمهورية، بغداد- العراق، سلسلة الكتب الحديثة (14)، 1386هـ -1966م، ص7. [↑](#footnote-ref-1)
2. )- خليل أحمد خليل، ***موسوعة المبدعين العرب في القرن العشرين***، 1/ 559- 560. [↑](#footnote-ref-2)
3. )- كامل سليمان الجبوري، ***معجم الأدباء منذ الجاهلية حتى سنة 2002***، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ- 2002م، 1/ 340 [↑](#footnote-ref-3)
4. )- بدر شاكر السياب، ***كتاب السياب النثري***، جمع وإعداد وتقديم: حسن العزفي، منشورات مجلة الجواهر- فاس، مطبوعات دار الثورة للصحافة والنشر- بغداد، (د.ط)، 1986م، ص7- 8. [↑](#footnote-ref-4)
5. )- بدر شاكر السياب، ***كنتُ شيوعيا***، أعدها للنشر: وليد خالد أحمد حسن حسن العزفي، منشورات الجمل كولونيا (ألمانيا)- بغداد، ط1، 2007م، ص5. [↑](#footnote-ref-5)
6. )- نسيب نشاوي، ***مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر***، ص520. [↑](#footnote-ref-6)
7. )- عباس إحسان، ***بدر شاكر السياب: دارسة في حياته و شعره***، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ط6، 1992م، ص151. [↑](#footnote-ref-7)
8. )- بدر شاكر السياب، ***أنشودة المطر***، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1969م، ص203- 204. [↑](#footnote-ref-8)
9. )- ***المرجع السابق***، ص211. [↑](#footnote-ref-9)
10. )- ***م.ن***، ص219. [↑](#footnote-ref-10)
11. )- نسيب نشاوي، ***مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر***، ص525. [↑](#footnote-ref-11)
12. )- ماجد صالح السامرائي، ***بدر شاكر السياب: شاعر عصر التجديد***،سير وأعلام (5)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، أوراق عربية (15)، ط1، كانون الثاني/ يناير 2012م، ص9. [↑](#footnote-ref-12)
13. )- عباس إحسان، ***بدر شاكر السياب: دارسة في حياته و شعره***، ص151. [↑](#footnote-ref-13)
14. )- بدر شاكر السياب، ***أنشودة المطر***، ص142- 143. [↑](#footnote-ref-14)
15. )- عبد الرضا علي، ***الأسطورة في شعر السياب***، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، سلسلة دراسات (147)، 1978م، ص178. [↑](#footnote-ref-15)
16. )- بدر شاكر السياب، ***أنشودة المطر***، ص145. [↑](#footnote-ref-16)
17. )- نسيب نشاوي، ***مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر***، ص525. [↑](#footnote-ref-17)
18. )- بدر شاكر السياب، ***أنشودة المطر***، ص146- 149. [↑](#footnote-ref-18)